الجُلجُثة، لا بد أن نتذكرها كل يوم

"فَلَمَّا أَخَذَ يَسُوعُ الْخَلَّ قَالَ: «قَدْ أُكْمِلَ». " (يوحنا ١٩: ٣٠)

لا بد أن نتذكر الجلجثة كل يوم. لقد سمعنا عنها كثيرًا، وقرأنا عنها كثيرًا. وقد وعظ بها الوعاظ منذ بدء الزمان. وقد ترنم بها المرنمون عبر العصور. وتنبأ بها الأنبياء قبل أربعة ألاف عام من حدوثها (مزمور ٢٢: ١- ١٨؛ أشعياء ٥٠: ٦؛ ٥٣: ١- ١٢)، ويُشير إلى حدوثها **خدام هذه الأيام. فهو يوم بالغ الأهمية.**

إنه واحد من أكثر الأيام أهمية بين كل الأيام التي سمح الله بطلوع فجرها على هذه الأرض. وبما أن هذا اليوم له أهمية بالغة، **وهو واحد من أعظم الأيام،** فدعونا ننظر إلى **ثلاثة أشياء مختلفة يمثلها هذا اليوم لنا.** يمكننا أن نأخذ مئات الأشياء، ولكنني أخترت فقط ثلاثة أشياء مختلفة وحيوية نريد أن ننظر إليها في الدقائق التالية، أشياء تمثلها لنا الجلثجة. **وأُصلِّي أن تبكِّت هذه الأشياء كل خاطئٍ يسمعها، وأن تجعل كل مؤمن يجثو على ركبتيه، وتجعل كل مريض يزداد إيمانه بالله ويخرج مشفيًا، وأن يخرج كل خاطئٍ وهو مُخلَّصٌ، وأن يرجع كل عاصٍ وهو شاعر بالخجل من نفسه، وأن يفرح كل مؤمن وينال قوةً جديدةً ورجاءً جديدًا.**

أول الأشياء العظيمة والمهمة التي تعنيها الجلجثة لنا وللعالم أيضًا، هي إنها حسمت مسألة الخطية نهائيًا (١ يوحنا ٣: ٩؛ ٥: ١٨). فقد وُجِد الإنسان مذنبًا بالخطية، وكان للخطية ثمنٌ لم يقدر أحد أن يسدده (رومية ٣: ٢٣- ٢٧). وكان هذا الثمن باهظًا جدًا حتى إن أحدًا لم يستطع أن يسدده. وأنا أُومن حقًا بأن الله رتب أن يكون هذا الثمن بهذه الطريقة، حتى لا يستطيع أحد أن يسدده، ومن ثَم يسدده هو بنفسه (إشعياء ٥٣: ٤- ٥؛ عبرانيين ٢: ١٤ -١٦).

والآن، **أجرة الخطية هي موت** (رومية ٦: ٢٣). وجميعنا مولودٌ بالخطية، وبالإثم صُوِّرنا، وبالأكاذيب نتكلم (أشعياء ٦٤: ٦؛ رومية ٣: ٤؛ مزمور ١١٦: ١١). **ولذلك لم يوجد بيننا أحدٌ مستحق، ولم يوجد على الأرض أحدٌ مستحق** (رؤيا ٥: ١- ٥).

ولم تبدأ الخطية هنا على الأرض. **بل بدأت الخطية في السماء، حين أُدين إبليس الشيطان بسبب عصيانه، حتى قبل أن يضرب الأرض.** فالخطية بدأت في السماء، **حيث أسَّس الله الملائكة ومَن مثلهم على القاعدة ذاتها التي أسس عليها البشر؛ شجرة الحياة وشجرة معرفة الخير والشر، بحيث يمكن للإنسان أن يختار** (تكوين ٢: ١٥- ١٧). **وحين أُعطِي إبليس الأولوية ليقرر اختياره، أراد شيئًا أفضل مما أعطاه الله. ومن هنا بدأت المشكلة** (أشعياء ١٤: ١٢- ١٥؛ حزقيال ٢٨: ١١- ١٧).

أولًا، يجب أن نسعى لمعرفة ما الذي يمثله هذا اليوم. ثانيًا أن نرى ما الذي فعله هذا اليوم لنا. ثالثًا، **دعونا ننظر إلى ماذا ينبغي أن نفعل من أجل هذا اليوم.**

أولًا، ينبغي أن ننظر في الأمر، إذ أنه يوم عظيم، **وهو الأعظم بين كل الأيام. أجرة الخطية قد دُفعت. وسلطان الشيطان قد كُسر** (كولوسي ٢: ١٣ -١٥؛ تكوين ٣: ١٥). والآن، نريد أن نرى ما الذي يجب أن نفعه في المقابل.

نأتي الآن لما سنفعله في المقابل. حين مات يسوع في الجلثجثة في ذلك اليوم، **لم يدفع أجرة خطايانا فحسب، بل دفع الثمن ومهد لنا أيضًا طريقًا لنتبعه** (عبرانيين ١٠: ١٩ -٢٣). فمن أجلنا نحن آدم الساقط الذي أُفتديَ، قاد الروحُ آدم الأول، بالروح الذي له السلطان على كل الطبيعة ... (١ كورنثوس ١٥: ٤٥ -٥٠). **حتى أننا** -الإنسان الذي من الأرض والذي فداه المسيح في ذلك اليوم في الجلجثة- **نستطيع أن نتبعه.**

هذا ما تعنيه الجلجثة لك: أن **طريقًا** قد فُتح لك في ذلك اليوم (أشعياء ٣٥: ٨). والآن، **حين مات المسيح في الجلجثة، أعد لنا طريقًا، وأعطى لنا الروح القدس الذي أرسله إلى الأرض من أجل أن نحيا به أنا وأنت** (لوقا ٢٤: ٤٨ -٤٩). **هذا ما تمثله لنا الجلجثة حتى نتبعه.**

أولًا انظروا في الأمر، **انظروا ماذا فعل لنا، والآن ما الذي يجب أن نفعله تجاه ذلك.** ماذا ينبغي أن نفعل أنا وأنت؟ قد نقول: "حسنًا، إننا نقدِّر ذلك. وهو أمرٌ رائع" **ولكن لا بد أن نقبله. وأن نقبله تعني أن نقبل شخصه، شخص المسيح، في قلوبنا** (يوحنا ١: ١٢- ١٣؛ ١٧: ٣). فنكون حينها أحرارًا من الخطية (رومية ٨: ١- ٢). ولذلك لسنا بعد مقيَّدين بقيود الخطية، تمامًا كما لو أننا لم نُخطئ قط (رومية ٦: ١٥ -١٨؛ غلاطية ٣: ١٣).

إن **الذبيحة الكاملة جعلتنا كاملين** (عبرانيين ١٠: ١٠، ١٤). إذ قال يسوع "فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ" (متى ٥: ٤٨). ومن ثم ليس هناك المزيد لنفعله، **بل قد جُعلنا كاملين في حضور الله.**

والآن، ها هو الموضع الذي قد نخسر فيه مكانتنا إن لم ننتبه. فنحن نحاول أن ننظر إلى الوراء إلى ما كنا عليه: وما دامنا ننظر إلى الوراء إلى ما كنا عليه، فالذبيحة حينئذٍ لا تعني شيئًا لنا. يا له من أمر! ألا ترين هذا أيتها الكنيسة؟ أنا لن أحاول فعل ذلك لو كنت مكانِك؛ فأنا لا أستطيع، وكذلك أنتم. ليس هناك حاجة إلى المحاولة. إنك ضالٌ، ما دمت تنظر إلى ما فعلته. **ولكن لا تنظر إلى ما فعلتَ، بل انظرْ إلى ما فعله لك ذلك اليوم على الجلجثة.**

إنه دفع الثمن (١ بطرس ١: ١٨- ٢٠). وحسم المسألة. إِنْ كَانَتْ خَطَايَاكُمْ كَالْقِرْمِزِ تَبْيَضُّ كَالثَّلْجِ. إِنْ كَانَتْ حَمْرَاءَ كَالدُّودِيِّ تَصِيرُ كَالصُّوفِ (أشعياء ١: ١٨). **ولذلك ليس فيكم خطية، أنتم بلا خطية تمامًا. وبغض النظر عمَّا فعلته أو تفعله، فإنك لا تزال بلا خطية. وما دمتَ قد قبلت يسوع المسيح مخلصًا لك، فإن خطاياك مغفورة لك.** وكل ما يُغفر لك، يُصفح عنه ولا يُذكر ثانية (أرميا ٣١: ٣٤ ب).

إذًا ما الذي يفعله؟ إنه، بعد هذه الحالة، **يعطيك روحه لتتبعه ولتفعل ما فعله، فتفعله مع الآخرين الذي يتبعونه.**

لقد كان إنسانًا واحدًا، بل كان الإنسان الكامل. وأعطى حياته، **تاركًا لكم مثالًا.**

والآن، ماذا ينبغي أن نفعل. إن أول شيء أَود أن أقوله، **هو أن يسوع لم يحيا لنفسه قط. بل أنفق حياته من أجل الآخرين. فهذه حياةٌ أبديةٌ حقًا.** حين تقول إنك تذهب إلى الكنيسة وإنك تفعل أشياءً حسنة، هذا أمرٌ جيد. ولكن **حين تحيا حياتك لأجل نفسك، فأنت لم تنل الحياة الأبدية بعد. فالحياة الأبدية هي أن تعيش لأجل الآخرين** (٢كورنثوس ٥: ١٤- ١٥؛ متى ٢٥: ٣١- ٤٠).

لقد أثبت يسوع ذلك حين جاء كحمل الله (يوحنا ١: ٢٩). لقد عاش وكانت لديه حياة أبدية، **لأنه لم يعش لنفسه، بل عاش لأجل الآخرين. وأنت قد نلت الحياة الأبدية بقبول ذلك اليوم، ولن تعيش لذاتك فيما بعد. بل تعيش من أجل الآخرين** (رومية ١٤: ٧ -٨).

قال أحدهم: "كيف يمكنك أن تقف هناك وتدع أحدًا يناديك بأسماء سيئة كهذه؟" يا صديقي أنت لا تعيش لذاتك. **أنت تعيش من أجل الآخر، لعلك تفتدي هذا الإنسان وتنقذه** (١ يوحنا ٥: ١٦). **لقد صرتم أبناءً لله،** والمشكلة في ذلك هي أن الكنيسة قد نست أنهم أبناءٌ. أنتم أبناءٌ (غلاطية ٤: ٦ -٧) **ولكم مكانة المسيح** (٢كورنثوس ٥: ٢٠). **أنتم أبناءٌ؛ فلا تعيشوا لأنفسكم، بل عيشوا من أجل الآخرين.**

"حسنًا، أيها الأخ برنهام، أنا أستطيع أن أعيش من أجل هذا الأخ، لأنه رجل لطيف حقًا." إن هذا ليس ما أقصده. **بل عليك أن تعيش من أجل ذلك الرجل الذي يكرهك.** وأن تعيش لأجل ذلك الرجل الذي سيقتلك لو استطاع. فهذا ما فعله هؤلاء بالمسيح، هم قتلوه. **وهو مات لكي يخلِّصهم. هذه هي الحياة الأبدية. وحين تنال هذه الحياة في قلبك، فإنك حينئذٍ قد وجَّهت عينيك نحو السماء.** بل أنك تضحي بما تملك وتتنازل عنه مثلما تتنازل الأغنام عن صوفها. فعينك متجهة نحو الجلجثة.

والآن، لاحظْ أن الأعمال العظيمة كانت تتضمن أن يكون هناك قوة في الكنيسة، ليس فقط لشفاء المرضى بالصلاة، ولإخراج الشياطين بالصلاة، **بل لنقْل الحياة الأبدية إلى المؤمنين** (يوحنا ١٤: ١٢). **إذا كان الروح القدس يأتي ويُعطَى بوضع أيدي الكنيسة من أجل نقل الحياة. يا له من أمر عظيم. هذا ما تمثله الجلجثة.**

حين ضُرِب الراعي العظيم، حين ضُرب النبي الحمل في ذلك اليوم، قال: «قَدْ أُكْمِلَ» (يوحنا ١٩: ٣٠). وفي تلك اللحظة، بمجرد أن ضُرِب الراعي، أُكمِلَ الأمر. فالخطية قد حُسم أمرها، ولم يعد هناك خطية بعد. **وهُم صاروا طاهرين، ودُفع الثمن. والمؤمنون المكتوب أسمائهم في سفر الحياة، المعيَّنون قبل تأسيس العالم، قد أُكمِلَ الأمر بالنسبة لهم في تلك اللحظة عينها التي قال فيها يسوع قد أُكمِلَ.** فراعي الخراف العظيم كان قد جاء من أجل خرافه (يوحنا ١٠: ١٤- ١٨). قد أُكمل الأمر، فذراع الله اليمنى- المسيح- قد أُخذ من حضنه، وضُرِب، وفي صباح عيد الفصح

قام ثانيةً وعاد إلى حضنه، ومدَّ الله ذراعه لنا **في صورة الكلمة، ليفتدينا من الخطية التي أبعدتنا عن جنة عدن.** فالسر المكتوم الموضوع في قلبه العظيم، قد أعلنه لنا النبي الحمل، أظهره لنا النبي الراعي.

لا عجب أن الجبال قد قفزت وصاحت في ذلك اليوم. ولا عجب أن الشمس قد أخفت وجهها وهتفت فرحًا (متى ٢٧: ٤٥- ٥٣). لا عجب أن الطبيعة كلها قد انفكت رُبُطها: فالريح هزت الأشجار حتى ظلت تهتز وتهتز، وأخذت تقفز فرحًا. فهم جميعًا رأوا النبي الراعي على جبل الجلجثة، **يفدي كل اسم مكتوب في سفر الحياة.** بل ورأوا أن طبيعتهم أيضًا قد أُفتُديت! فأخذوا يصرخون ويقفزون. وأصاب العالم كله زلزلةٌ، وتشققت الجبال، وتساقطت الصخور. وغربت الشمس. وحدث كل شيء. مثل أي لقاء، يكشف لك فيه الراعي أن العمل "قد أُكمل!".

وحين نظر الله إلى أسفل، على هذا الجسد، تركه الروح في بُستان جثسيماني. **إذ كان لا بد أن يموت كإنسان** (يوحنا ١٩:٢٥- ٣٠). **تذكروا أيها الأحباء إنه لم يكن مضطرًا أن يفعل ذلك.** إنه الله، فقد مسح الله هذا الجسد، وهو جسد بشري (رومية ٨: ٣- ٤). لأنه لو كان قد صعد إلى هناك بوصفه الله، فإنه ما كان ليموت مطلقًا هذه المِيتة، فلا يمكن لأحد أن يقتل الله. **تذكروا، هو لم يكن مضطرًا أن يفعل ما فعله، بل ذهب إلى هناك وبداخله كل واحد منَّا.** انظروا، لم يفرِّق الله قط بين العروس والعريس، في ذلك الحين. ولذلك حين نظر الله إلى جسد المسيح، رأى الرجل والمرأة معًا. فالكل قد أُفتُدِيَ في ذلك الجسد الواحد. أرأيتم؟ هم واحد، الكلمة ذاتها. **فالكلمة نفسها التي تحدثت عن العريس، تتحدث عن العروس!**

حسنًا، والآن كيف تأتي العروس وتفشل في أن تُظهر كل شيء قد وُعدت به من العريس؛ فيأتي العريس أما العروس فغير مستعدة؟ بل قد فعل العريس كل شيء، حتى إنه برهن على ذلك بقيامته من الأموات، أفلا ينبغي أن تفعل العروس الشيء ذاته، وأن تصير تمامًا ما قالت الكلمة إن العروس ستصير عليه في الأيام الأخيرة؟ ألا ينبغي أن تعود مثلما هو مكتوب في ملاخي ٤؟ ألا يجب أن تُظهَر مثلما أُظهِرت في أيام سدوم وعمورة؟ ألا ينبغي أن يكون العالم ما هو عليه الآن بالضبط؟ أليست هذه الأمور هي تحقيق تام لكلمة الله المعروفة لنا؟

ولكن الله سبق فرأى العروس في العريس. هللويا! **انظروا، لينقذ زوجته، مثل آدم، فكان لا بد أن يذهب معها. عرف آدم ما الذي يفعله:** أما حواء فلم تعرف ما الذي تفعله، **ولكن آدم خرج مع زوجته. أترون؟ ويسوع أخذ مكان زوجته وصار خطيةً لأجلها. تذكروا، لقد أخذ مكانك، وتحمَّل عقابك حتى تأخذ أنت مكانه. هو أخذ مكانك حتى تأخذ أنت مكانه.** يا لها من محبة! ويا لها من شركة! كيف يمكننا أن ننكرها؟ وكيف يمكننا ألا نحبه؟!